وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2-

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية

قسم علم النفس و علوم التربية و الارطفونيا

مطبوعة جامعية

بعنوان: العلاج النسقي

اعداد: الدكتور بوثلجة مختار

مقياس: العلاج النسقي

سنة: ثالثة علم النفس العيادي

السداسي: السادس

السنة الجامعية: 2017/2016

محتويات المقياس:

مقدمة:

المحاضرة الاولى: تطور التفكير النسقي

المحاضرة الثانية: المفاهيم الاساسية في المقاربة النسقية

المحاضرة الثالثة: دورة الحياة في الاسرة

المحاضرة الرابعة: تشخيص سوء اداء النسق الاسري

المحاضرة الخامسة: دراسة الطلب

المحاضرة السادسة: الاطار الزماني و المكاني للمقابلة النسقية

المحاضرة السابعة: بناء الجينوغرام

المحاضرة الثامنة: النسق الاسري و النسق العلاجي

المحاضرة التاسعة: اعادة العريف مصفوفة التغيير

المحاضرة العاشرة: مفهوم العرض في المقاربة النسقية

المحاضرة الحادية عشر: المقابلات الاولى في العلاج النسقي

المحاضرة الثانية عشر: التيارات الرئيسية في المقاربة النسقية

المحاضرة الثالثة عشر: النموذج البنائي

المحاضرة الرابعة عشر: النموذج التعاقبي

تمهيد:

إن المتتبع لتاريخ العلوم يلاحظ أن التفكير العلمي مر بنمطين من التفكير أحدهما والذي نستطيع أن نسميه التفكير التحليلي–السببي (والمعنى هنا تقسيم الواقع بحيث نستطيع فهم السبب والنتيجة) فمثلا لفهم ظاهرة ما نقوم بتقسيم الظاهرة المراد دراستها إلى ابسط جزئياتها، فلفهم عمل المخ مثلا نقوم بتقسيمه إلى مناطق مخية والمناطق إلى مشابك عصبية والمشابك إلى أجزاء أخرى وهكذا دواليك، إن هذا النوع من التفكير سمح بتقدم العلم بحيث تم اختراع أحدث الآلات وأدقها، العيب الوحيد في هذا التفكير هو التركيز على الجزئيات مهملين في ذلك العلاقة الناشئة بين مختلف هذه الأجزاء (عدم الاهتمام بعموم الظاهرة) (Olivier&Amiguet,2004, p16).

في المقابل هناك التفكير الكلي (Holistique) وهو التفكير الكلي والذي يعتمد في فهمه للظواهر على الكليات دون تقسيم الظاهرة إلى جزئياتها، ويكون هذا الفهم في البداية عن طريق الحدس، إن النقص في هذا التفكير هو تغييبه للدقة وقد جاء الطرح النسقي في هذا الإطار الكلي لفهم الظواهر ككل وليس كجزئيات وبالتالي سنتناول هذا التفكير النسقي في هذا العمل بالتحليل، مستعينين في ذلك بمختلف اراء الأخصائيين في هذا المجال.

- المحاضرة الاولى

-تطور التفكير النسقي: إن تتبع تاريخ ظهور التفكير النسقي أمر شاق و ليس من السهل تتبع جميع المراحل، ولهذا سنحاول في هذا العنصر إيضاح المراحل التي مر بها التفكير عموما من التفكير التحليلي والمؤسس على السببية الخطية، الحقيقة، الموضوعية، القابلية للتنبؤ...) إلى تفكير نسقي والذي يتأسس على مفاهيم السببية الدائرية، عدم القابلية للتنبؤ، عدم الاستقرار والحقيقة المبنية عن طريق الملاحظ.

- من التفكير التحليلي إلى التفكير النسقي: إن عصر ديكارت ونيوتن كانت تغلب عليه النظرة الميكانيكية (قوانين الميكانيك)، حيث أن النموذج الكوسمولوجي لنيوتن سمح بتوقع موقع كوكب عند قدومه بمجرد معرفة وضعه الماضي أي موقعه السابق، أي بمعنى آخر الماضي يحدد الحاضر والمستقبل أي أن إمكانية التنبؤ بالعالم موجودة، لكن مع تطور البيولوجيا والنظرية النسبية لأينشتاين وديناميكا الحرارة...، كل هذا ساهم في تغيير نظرة العلم للواقع، حيث قوانين الميكانيك القديمة لا تنطبق على هذه العلوم الجديدة.

بحيث أن قوانين الديناميكا الحرارية أدخلت مفهوم غير القابلية للعودة irreversibilité وقانون الانثروبي *l'Entropie وهذا في السيرورات الفيزيائية والكيميائية.

في المقابل قام البيولوجي فان بارتالانفي (Bertalanfey,V,1937) مع ماسي (Macy) بتقديم النظرية العامة للأنساق، وهي نظرة جديدة للتعامل مع الأحداث والتعقيدات، والمراد هنا هو التعامل مع النسق ككل بدون عزل أجزائه، إذن فدراسة الأنظمة تسمح

***أنتروبيEntropie:** هو مفهوم لتحديد الديناميكية الحرارية أي مقدار تدهور الطاقة في نظام ما، حيث أنه عندما يكون لدينا نظام مغلق في حالة تطور بدون مادة أو طاقة، أو دون معلومات، فهو يؤول نحو الانحطاط، ويذهب إلى حالة كبيرة من عدم الانتظام،إنه يؤول نحو حالة من عدم التأكد،إذن الأنتروبي تسمح بقياس هذا الميل نحو عدم الانتظام والانحطاط (Dictionnaire hachette,2012)، في مقابل ذلك وفي الأنظمة المفتوحة حتى ننقص من حدة الأنتروبي يجب العمل على la néguentropieبمعنى آخر الطاقة والمادة اللازمة(بالنسبة للأسرة هذه المادة والطاقة هي المعلومات) (Ausloos,G,2005,p52)

بملاحظة سيرورات وعوامل متخفية، فعندما نطبق المنهج التحليلي فهذا الطرح يتركز حول عزل أجزاء الظاهرة (أجزاء النسق والتعامل معه على حدى متناسيا في ذلك مختلف التفاعلات الواقعة).

من هنا جاءت فكرة التفاعلات وبالتالي السببية هي عوامل دائرية (circulaires) وهذا ما سمحت مفاهيم السيبرنطيقيا(cybernétique) بفهم أجزاء منه عن طريق مفهوم الارتجاعية(la rétroaction)، فجميع حلقات النسق تدفع إلى أن يبقى النسق في حالة توازن (homéostasie)، إذن فالنسق يصبح في حد ذاته هو أحسن طريقة لفهم نفسه وتحديد تاريخه.

في المقابل وقبل أن تتحدد مفاهيم النسقية بدقة فقد أثبتت الميكانيك الكمية استحالة الملاحظة دون تغيير موضوع الملاحظة(Feyman,1990) ،كما وضع (Heisenberg) مبدأ الشك والذي يرى بأن الملاحظة والقياس لظاهرة ما يتأثران بهذه الظاهرة في حد ذاتها، بحيث أن النتيجة ليست انعكاسا للحقيقة المطلقة كما أن هناك عدة تساؤلات في الطب العقلي فرضت نفسها. فهل المريض النفسي هو المصدر الوحيد لمرضه؟ وكيف نفسر تحسن مريض نفسي في الأسرة وظهور عرض ما عند فرد آخر، أو بالمقابل كيف نفسر تحسنات متسلسلة لأعضاء في الأسرة مرة واحدة، وكيف نفسر كذلك ظهور عرض عند أحد أفراد الأسر، بمجرد حدث جديد في الأسرة كالميلاد أو الزواج...إلخ.

إذن فكيف تفسر كل هذه الظواهر، وكما يقول موني الكاييم(Elkaime,M. 1995) فالمريض النفسي ليس مصدر مرضه لوحده، ولكن مرضه مرتبط بتغيرات علائقية مهمة للفرد ومن أجل تفسير هذا، ظهر اتجاهان في هذا المنحى يحاولان الإجابة عن هذا التساؤل:

1-1-**في الجهة الشرقية:** والتي كانت متأثرة بنازحين كثر من أوربا، فالتقليد التحليلي (التحليل النفسي) كان له أثر كبير من التاريخ المرضي كعامل مفسر للمرض النفسي، فالحاضر يفسر عن طريق الماضي والذي ينتقل من جيل إلى جيل

كالخرافة والطقوس والتقاليد والعادات،في هذا الإطار الذي يمزج الحاضر بالماضي نجد ناثان اكرمان (Nathan,Ackerman) والذي كان من الأعمدة، لكن أبعاده أعيد ادماجها ليس على مستوى الآثار التي تتركها هذه الأحداث على المستوى الشخصي، ولكن أعيد إدماجها في كيفية ربطها لأعضاء الأسرة ككل وكيف يصبح بإمكان الفرد التأثير على الأخرين، من جهته بوزورموني ناجي(I.B.Nagy) حاول تفسير هذا الرابط عن طريق ميزان الأخذ والعطاء(La balance du donné et du reçu) والذي يبرر الأفعال الحاضرة باسم العدالة العلائقية(l'éthique relationnel) والتي تأسست على أساس الشرعية(la légitimité) والإستحقاق(le mérite) والإرث الذي نحمله من أسرنا الأصلية، من جانبه أصر بوين (Bowen) على سيرورة تفردن الذات كعامل أساسي في الاسرة(Heirman, M ,1999) .

1-2- في الجهة الغربية: كان لهم الأفضلية في التوجه نحو آفاق جديدة حيث كان هناك ملتقى متعدد لعلوم كثيرة، فمساهمة النظريات الجديدة كنظرية الأنساق لبارتا لونفي(Bertalanfey) والسيبرنيطقا...الخ أثمر بأعمال لمدرسة بالو آلتو Palo Alto، MRIفي كاليفورنيا، فمفهوم التفاعل هنا والآن أخذ خطوة هامة في أعمال هؤلاء الباحثين، ووضع جانبا أثر الماضي في الحاضر، لصالح مفهوم التوازن(L'homéostasie)، في هذا الأفق لم يصبح العرض عند الفرد عبارة عن اضطراب نفسي داخلي لكن يأخذ جذوره ويدل على اضطراب داخل النسق الأسري، ومن هنا أصبح البحث منصبا على وظيفة العرض في هذا النسق الأسري، فإن كان العرض يضمن التوازن الأسري(L'homéostasie)، فإن زواله لا يكون سهلا وسيبقى لمدة طويلة.

ومع أعمال (Weakland.J et Jackson,D,D et Watslawick,) خطوات هامة ثم قطعها بحيث أظهر هؤلاء الباحثون كيف أن العرض (المرض النفسي) يمكن فهمه كنتيجة لفعل إتصالي، وكيف أن الملاحظة وتغيير التفاعلات تساهم في خلق تغييرات جذرية وحاسمة.

بعد ذلك وبقليل ومع دخول السيبرنيطيقا الثانية (2ème cybernétique) في أعمال فون فورستر (Von Forester)انقلبت الأمور بشكل أكبر، كفكرة أولى والتي كانت مفتاحية حيث أن الملاحظ (المعالج النفسي) لا يستطيع أن يكون خارج النسق الأسري الملاحظ، وبالتالي أصبح لزاما عليه أن يكون عضوا في هذا النسق الأسري يلاحظ ويغير عبر انتمائه لهذا النسق وليس كملاحظ فقط.

فكرة ثانية وهي أنه لا توجد حقيقة أخرى غير التي تبنى بين المُلاحِظ والمُلاحَظ وفي هذا الأفق أصبح مفهوم "الحقيقة الموضوعية" أمرا نسبيا ليستبدل بالحقيقة التي تبنى بين الملاحظ والملاحظ(Elkaim,M. 1995).

ومن هنا كانت الانطلاقة الحقيقة للعلاج النسقي الأسري والذي لا يزال يشق دربه حتى يومنا هدا.

المحاضرة الثانية

المفاهيم الأساسية في المقاربة النسقية :

1- مفهوم النسق : في البداية سوف نأخذ مجموعة من تعاريف النسق.

بالنسبة ل:(بارتالونفيV.Bertalanfy.) فالنسق هو مجموعة العناصر المتداخلة فيما بينها، أي أنها ترتبط فيما بينها بعلاقات حيث إذا تغير أحد هذه العناصر أدى إلى تغير العناصر الأخرى (اومليلي حميد 2010،ص44)، ففكرة النسق عند بارتالونفي تتأسس على فكرة أن الكل لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة أجزائه في علاقتها بعضها ببعض، وفي علاقتها بالعملية الكلية للأداء.

إذن فالفكرة الأساسية في مفهوم النسق هو أن ما يهم هو العلاقة*(La relation) الموجودة بين عناصر النسق وحتى العلاقة الموجودة مع عناصر أنساق أخرى وليس العناصر في حد ذاتها، إذن فالعلاقات هي التي تحافظ على الكل ضمن أي نسق (Watslawick,J,P,1972,p 120)

كما يقسم (Fagen et Hall)الأنساق الى فرعين : مفتوحة ومغلقة، الأنساق المفتوحة، بمعنى أنها تتبادل مع محيطها المواد، الطاقة وحتى المعلومات كما في الأنظمة الحية، في المقابل النسق المغلق(clos)، هو نسق لايستقبل ولا يرسل لاطاقة ولامادة ولا معلومات، إذن لا يوجد تغير في المكونات، كما أن النسق ينتظم حول مظهرين بنائي ووظيفي (Salem,G.2001).

وفيما يخص المظهر البنائي للنسق نلاحظ المكونات الأربعة التالية:

- حدود والتي تمثل الحد الفاصلinterface والتي تميز النظام من البيئة التي ينتمي إليها).

---

*العلاقة **la relation:** من بين المفاهيم المركزية في المقاربة النسقية وهو مفهوم تناوله ج.ب، فاتزلافيك في كتابهune logique de la communication؛حيث أعطاه حجر الزاوية في المعادلات الرياضية و في الكيمياء ، و كذا الحال في العلاقات الانسانية فالرموز في الرياضيات لا يمكن فهمها إلا في إطار علاقتها برموز أخرى كذلك الأفراد لا يمكن فهمهم إلا ضمن إطارهم العلائقي.

- العناصر والتي يمكن تحديدها وتصنيفها في فئات
- شبكة اتصال ونقل
- خزانات من أجل التخزين

وفيما يخص المظهر الوظيفي فإن النسق يتشكل من الخصائص التالية:

- تدفق ذو طبيعة مختلفة يدور بين الخزانات ويغير في المادة، الطاقة المعلومات
- مراكز قرارات هي التي تراقب سرعة هذه التدفقات وهذا بالتأثير عليها
- حلقات ارتجاعية (تغذية مرتدة) والتي تُعلم مراكز القرارات بما يجري وتسمح بتعديل الأسئلة لمعرفة الأسباب
- تواقيت نتيجة الاختلاف في سير التدفقات أو مدة التخزين في الخزانات أو احتكاكات بين عناصر النسق هذه الأوقات تسمح بالتعديل المؤقت اللازم للسير الحسن للنسق

في المقابل تعتبر الأسرة كنسق مفتوح يبحث دائما عن التوازن(homéostasie) والقدرة على التحول، إن الأسرة تبحث دائما على ضمان ديمومتها وهذا بالتكيف مع قواعد النمو

(Watslawick,J,P,1975,p 150)

والأسرة كأي نظام حي (مفتوح) كما يشير إلى ذلك (Ausloos,G.2005) تسبح داخل سيرورات تفاعلية ذاتية المرجع، والتي تهدف إلى الحفاظ على توازن هذه الأسرة، ولأجل هذا تحتاج الأسرة كنظام حي مفتوح إلى الطاقة ومادة مثل باقي الأنظمة الحية، وهذا حتى تضمن استمرارها وتخفف من حدة(entropie) الأنتروبي، إن الطاقة والمادة التي تحتاجها الأسرة كنظام مفتوح هي المعلومات والتي تأتي منها وتعود اليها.

كما أن الأسرة كنسق مفتوح ضمن الأنظمة الحية لها خصائص، هذه الخصائص تتقاسمها جميع هذه الأنظمة وهي:

1-1-الكلية(La totalité): إن مبدأ الكلية في الأنظمة الحية كالأسرة هو الكل حيث كل عنصر مربوط بالعناصر الأخرى، والنتيجة هي أن كل تغير في أحد عناصر هذا النظام يؤدي إلى تغييرات في العناصر الأخرى وفي النظام ككل، سواءً من ناحية الوظيفية، التفاعلات أو حتى الإنتاج.

كما أن هذا المبدأ في فهم الكلية لا يعني مجموع الأجزاء (la non-somativités) حيث أننا لا نستطيع فهم نظام بتجزئته إلى عناصره البسيطة أو بعزل خصائص عناصره ثم دراسته، إذن فالنسق هو الكل يضاف إليه أشياء أخرى وليس هو مجموع أجزاء.

فالأسرة لا يمكن فهمها بفهم خصائص أفرادها كلُ على حدى(Olivier,Amiguet,2004, p 39)

إن هذا المفهوم الكلي عن الأسرة يوجب على الأخصائي أخذ كل عناصر النسق الأسري باهتمام حتى الأنساق الممتدة خارج الأسرة كالأهل وغيرهم، وعدم إغفال أي عنصر في فهم سيرورة أي نسق أسري.

1-2-مجموع الأجزاء: إن أي نسق هو مجموع يحتوي على أجزاء مختلفة، بصفة عامة نستطيع القول بأن أي نسق يحتوي على أنساق فرعية أخرى، كما أنه محتوى ضمن أنساق أخرى أوسع منه، فالأسرة مثلا تحتوي على أنساق فرعية كالنسق الوالدي، نسق الأطفال، نسق الذكور والإناث أو نسق الكبار والصغار، كما أن هذه الأسرة تسبح في أنساق أكبر منها كنسق الأجداد، نسق الأعمام...الخ.

1-3- التماثل (isomorphisme): إن مسألة التماثل في الأنساق يوضحها(Cuendi) كوندي في دراسته حول المقاربة النسقية، فهو يرى بأن هذه المقاربة لا تنحصر في نمط واحد من التنظيمات، حيث يقول" فكل ما تعلق بشيء، بكائن حي، بمجتمع...الخ، أو بأي شيء مربوط بعلاقات مع أشياء أخرى يمكن أن يشكل نسقاً (Cuendi,G.p17) إذن فالتماثل يعني التشابه(analogie) في الأشكال، فمثلا النسق الأسري، والنسق الخلوي(في الخلية).

المحاضرة الثالثة

-1-4- الغائية المتساوية (l'équifinalité): إن المعنى هنا هو أن أي نسق دائري هو مصدر تغيراته، حيث أن نتائج أي نسق لا تحددها الظروف الأولية، بينما ما يهم هو طبيعة السيرورة في النسق بحد ذاته، أو بمعايير النسق، إن مبدأ الغائية المتساوية يعني أن نفس النتائج يمكن أن تكون لها أسباب مختلفة، لأن طبيعة وبنية النسق هي المحددة، حيث يقول بارتالونفي في هذا الصدد" إن استقرار الأنساق المفتوحة تتميز بمبدأ الغائية المتساوية، والذي يعني عكس توازن الأنظمة المغلقة والتي تحددها الشروط الأولية، إن أي نسق مفتوح يستطيع أن يصل إلى حالة من الاستقلالية بعيدا عن الظروف أو الشروط الأولية ويبقى محددا فقط بأبعاده الذاتية (أي الخاصة بالنظام).(Elkaim,M. 1995, p29).

كما يشير كذلك فاتزلافيك بأنه حتى وأن مبدأ الغائية المتساوية للأنساق المفتوحة مؤسس على استقلالية النسق بالنسبة للظروف الأولية، فإنه ليس فقط الظروف الأولية المختلفة والتي يمكن أن تؤدي إلى نفس النتائج، لكن هناك نتائج مختلفة يمكن أن يكون لها نفس الأسباب، وفي هذا الإطار يؤكد فاتزلافيك على تنوع أفكار السببية المرضية للفصام وهو ما يوضح هذا الأمر، فالنظريات التي كانت ترى بأن سبب الفصام هو صدمة واحدة في الطفولة تركت مكانها لنظريات أخرى حول صدمات متكررة وليست واحدة*، إذن فالفصام في هذه الحالة لا يمكن فهمه في اتجاه واحد لفرضية الأم الفصامو-نشوئية، ولكن يجب دراسته في إطار بين شخصي حيث ظهر الاضطراب: أسرة، مكان عمل .... الخ، وفي هذا الإطار فإن أي سلوك ليس نتيجة أوسبب للظروف الغريبة للوسط، لكن بصفة دقيقة هذا النمط ينتمي إلى نسق مرضي في حالة حركة.(Watslawick,J,P.1975,p 129)

---

*في هذا السياق يشير دون جاكسون Don . Jackson في 1957 بأنه تاريخيا فإن دور الصدمة النفسية في السببية المرضية انتقل من الأفكار الاولية لـ " فرويد "والمتعلقة بوجود حدث صدمة واحدة إلى فكرة الصدمات المتكررة وأصبحت المرحلة التالية ليست هي البحث عمن هو المسئول ولكن كيف ترتبط وتعقد الوضعيات. ومنذ تلك الفترة انصبت الدراسات على دراسة الفصام كمرض أسري متعلق بدورة معقدة من معطي ومستقبل أكثر من مسألة الأم الفصامونشوئية (D.D Jackson ,P 128 نقلا عن Watslawick,1972)

وفي الأخير نستطيع القول أن النسق هو الذي يعود إليه تفسير نفسه، إذن فأحسن طريقة لدراسة هذا النسق كما يقول فانزلافيك هي دراسة حالته الحالية.

1-5- الارتجاعية"la rétroaction" إذا كانت عناصر أي نسق لا تنتظم بطريقة جمعية (جمع) أو خطية كما تم إيضاحه سابقا إذن فالطريقة الواحدة التي تنتظم عناصر أي نسق هي الدائرية، إذن فقدوم السيبرنيطيقاcybernétiqueوالدائريةcircularité، جعل البحث في الظواهر يكون أكثر تعقيدا ويكون الأمر أكثر من مسألة السبب والنتيجة إذن فالمسألة ليست مسألة سبب ونتيجة، فإذا فرضنا مثلا أن: أ هو سبب حدوث ب- فحدوث-ب- بالضرورة يترك أثرا على-أ-والذي سيؤثر بدوره على عناصر أخرى- ج -مثلا وهكذا فالعناصر داخل النسق تؤثر وتتأثر في تفاعل دائري ارتجاعي، حيث لا يمكن تفريق السبب عن النتيجة وإنما يصبح المهم هنا هو معرفة العلاقة الموجودة بين عناصر هذا النسق، إذن فدراسة السيرورة التفاعلية داخل نسق تكون أهم من دراسة الأسباب أو النتائج.

1- 6 – التعديل الذاتي (التوازن الحيوي والتغيير :L'autorégulation):

إن الأنظمة تميل في مرات إلى التغيير وفي مرات إلى الاستقرار، بحيث أن هذه اللعبة (التغيير والاستقرار) تحافظ على النسق في حالة اتزان، غير مستقر ولكن مؤقتا مما يضمن إمكانية التطور والعيش (Oliviei& Amiguer,2004,p45) .

كما أن التوازن الحيوي Homéostasie هو عبارة عن آلية للتعديل الذاتي والتي تهتم بالمحافظة على ما هو موجود كالدفاع ضد كل ما يهدد استقرار النسق، إذن فالهدف هو الحفاظ على استقرار النسق أثناء فترات التغير والتحول، وما يميز خاصية التوازن الحيوي هو الحفاظ على استقرار النسق وضبطه داخل نطاق الحدود المطلوبة، عندما يحدث شيء خارج نطاق المدى المقبول للنسق.

المحاضرة الرابعة:

-تشخيص سوء اداء النسق الاسري: عندما نطبق المقاربة النسقية على الاضطرابات النفسية فان تشخيص نواة الاضطراب يكون مختلفا عن التشخيص السيكاتري و بدلا من التركيز على الحالة الداخلية للفرد فان مدخل انساق الاسرة يبحث عن السببية المرضية في التفاعلات التي تحدث بين مختلف افرادها .

و بدلا من تبني النموذج الخطي في السببية المرضية فإننا ندرك بان العلية تتعلق بتفاعلات دائرية فالطفل ليس متمردا لان والده متسلط او ان الوالد متسلط لان ابنه متمرد لكن الاحرى ان كل منهما يؤثر و يتأثر و بالتالي الوقوع في توال او تكرار مزمن من السلوك.

و بدلا من التركيز على الطريقة التي يفكر بها الافراد فان المعالج النسقي يميل الى التركيز على التفاعلات التي تثار داخل النسق الاسري فالهدف في العلاج النسقي ليس الاستبصار و انما تغيير السلوك و بسبب انتشار العلاج النسقي في الدول الغربية فان كل معالج رئيسي اكد على جوانب مختلفة من اداء التوظيف الاسري كمصدر للسلوك الاعراضي.

و من العوامل التي قد تؤدي الى سوء الاداء الوظيفي للأسرة نجد:

1-دورة حياة الاسرة: إن الصياغة المفاهيمية لمسألة مراحل تطور الأسرة قد تبلورت في الثمانينات على الرغم من أن المفهوم كان قائما وواضحا في فكر "جاي هيلي " Haley" قبل ذلك في السبعينات، ومنذ ذلك فإن معالجي الأسرة قد اعترفوا بأهمية التغيرات المرتبطة بدورة حياة الأسرة كمصر رئيسي للضغوط وعدم التوازن، فهناك عدة تغيرات في دورة حياة الأسرة منذ بداية تكوينها بالزواج، ويترتب على ذلك أيضا تغيرات ينبغي أن تتم في النسق الأسري، حتى تعيش الأسرة حياة متوازنة، وإذا فشلت

في التكيف للمطالب الجديدة، فإن أدائها لوظائفها يضطرب ويسوء(علاء الدين كفافي، 1999، ص72)

إذن فمطلب التغيير أمر عادي في حياة الأسرة، وينبغي الانتباه الى أن الصعوبات العادية ليست هي التي تخلق المشكلات وإنما سوء تناول الصعوبة أو سوء التعامل معها هو الذي يخلق المشكلة، ويضيف إلى هذا أسلوس فكرة أن هذه التغيرات في دورة حياة الأسرة ليست بالضرورة تشكل تهديدات حقيقية للأسرة (أي هذا التغيير لا يحتم وجود مشكلة) لكن الخوف أحيانا على توازن الأسرة وأن آليات التسيير في خطر، هنا يضع النسق الأسري آليات بديلة من أجل الحفاظ على التوازن الحيوي (Ausloos,G.2005, p55) كما أن أفكار ضرورة، التغيير، ومعاملة التغيرات النمائية العادية كما لو كانت مشكلة كل هذا يحتمل أن يؤدي للضغط الأسري وبالتالي فإن سوء أداء الوظيفة الأسرية يقابل هذا الضغط الأسري.

2-الانصهار في الاسرة: قد يندمج بعض افراد الاسرة في احد الانساق الفرعية الى الدرجة التي يكون فيها الفرد غير قادر على التفكير او ان ذاته تذوب و سط ذلك النسق الفرعي و مشكلة الاندماج مشكلة يمكن ان يترتب عنها اثار سلبية بالنسبة للعنصر المندمج او حتى لباقي افراد الاسرة لأنه بذلك يتنازل عن ذاته حيث يرى بوين ان المرضى الفصاميين عادة ما يكونون مندمجين او منصهرين في اسرهم.

اما الافراد الذين لديهم درجة منخفضة من الاندماجية فانهم يكونون منفصلين انفعاليا عن اسرهم و قادرين على التصرف باستقلالية كما يمكنهم ان يختاروا ان يكونوا عقلانيين في المواقف المشحونة انفعاليا ومن الواضح ان استقلالية الابناء مرتبطة اصلا باستقلالية ابائهم و عدم اندماجيتهم و هدا ما يعبر عنه ايفان بوزورموني ناجي بالعمل العبر جيلي او ميزان الاخذ و العطاء . (علاء الدين كفافي، 1999، ص72)

و بصفة عامة فان الافراد المندمجين هم اصحاب النصيب القليل من التمايز فهم عادة ما يكونون استجابيين للضغوط البيئية و هذا بأحد الاساليب التالية:

-الانسحاب

-الصراع

-سوء الاداء الوظيفي الزواجي

-سحب الطفل الى المثلث غير السوي.

و حينما يحدث البديل الاخير فان الطفل الذي يسقط في الصراع بين الوالدين و يشكل معهما مثلثا سيكون اقل تمايزا من والديه و بالتالي فهو اكثر عرضة لمختلف الاضطرابات النفسية و على راسها الفصام(Bowen.1994)

3-تميع الحدود او صلابتها: يوجد داخل كل نسق اسري انساق فرعية كنسق الابوين نسق الاخوة نسق الاجداد نسق الاخوات..... و يفصل بين هذه الانساق الفرعية حدود و هي قواعد مضمرة تحكم الاتصال داخل النسق الاسري فعندما تتميع هذه الحدود و تصبح غير واضحة و تغيب القواعد فان المرور بين الانساق الفرعية يكون سهلا مما يجعل الحدود غير محترمة كان تخترق النسق الابوي من طرف الاطفال او الاجداد او قد تكون هذه الحدود صلبة و صارمة جدا الى درجة تعوق الاتصال و يقال هنا ان الحدود صلبة اما الوضع المفضل حسب مينوشين هو ان تكون هناك قواعد واضحة تسمح لكل فرد بالتميز و الاندماج.

كما يمكن ان يحدث سوء التوظيف الاسري بسبب ان الاسرة انفصلت عن البيئة الخارجية او اندمجت فيها كما يمكن ان يحدث سوء الاداء الاسري ايضا عندما تندمج الانساق الفرعية الداخلية في الاسرة او تتباعد .

4-**عامل التفردن وسط الاسرة:** ان التناقض الذي تقتضيه وظيفة الأسرة يجعلها محل استفهام دائم حيث أن تربية الأولاد تتطلب من الأسرة خلق روابط قوية بين

الطفل والأهل حتى تسهل هذه الروابط عملية التربية، ثم تأتي بعد ذلك المهمة الثانية وهي توجيه الطفل نحو الاستقلالية التي تتطلب من الأهل فك هذه العلاقة المتينة والسماح لهذا الطفل في أحد مراحل عمره بالاستقلالية، إن اضطلاع الأسرة بهذه الوظيفة أو غيرها من الوظائف الأخرى يعد أمرا غاية في التعقيد وبالتالي يصبح الاستقرار النفسي لهذا الطفل يرتبط بشكل كبير على استقرار هذه الأسرة

ان عامل التفردن défférentiation داخل الأسرة الأصلية غاية في الاهمية، فالطفل الذي يكون في علاقة إلتحاميه مع أمه في مرحلة ما من مراحل نموه ويحاول بعد ذلك الانتقال إلى الاستقلالية والتفردن، هذه السيرورة لا تتحدد بالنضج البيولوجي فقط وعامل الوحدة النفسية طفل/ أم كما تقول ماهلر (mahler 1952) ، لكن هناك مجموعة من التفاعلات داخل نسقه الأسري، فهذه التفاعلات الأسرية حسب بوين (Bowen,1978) هي المحدد الرئيسي لدرجة تفردن كل عضو فيها، إذا فاستقلال الأبناء يؤسس على درجة التفردن التي يمنحها الأهل والجو الأسري العاطفي في الأسرة الأصلية

فمن الممكن حسب أندولفي Andolfi أن تكون في الأسر الأصلية قوانين تتحكم في النسق الأسري تنفي استقلالية الفرد عن الأعضاء الآخرين للأسرة (Andolfi,1985, P 05) وبالتالي يصبح هذا الفرد غير قادر على تغيير وظيفته أي الانتقال من وظيفة لأخرى بكل سلاسة.

المحاضرة الخامسة

- **دراسة الطلب Exploration de la demande :**

تعد مرحلة دراسة الطلب مهمة جدا في البحث الأسري النسقي، حيث يقوم الباحث النسقي بدراسة الطلب، أي هل أن الفرد المعني بالاضطراب هو في حاجة إلى علاج أسري أو أن الأمر يتعلق ببنية فردية مرضية، لا تستلزم علاج كل النسق الأسري.

في هذا الإطار وضع نوبرجيNeuberger في كتابه "L'autre demande " العناصر الأساسية لطلب علاج أسري نسقي، وهو يرى أن الممارسة النسقية في العلاج الأسري تتطلب توفر مجموعة من العناصر، حتى يتم توجيه الفرد الذي يعاني من اضطراب إلى علاج أسري نسقي، وهذه العناصر تكون بالإجابة عن الأسئلة التالية :

- من هو الفرد الذي جاء طلبا للعلاج؟
- من هو الذي يعاني أكثر في الأسرة أم أن المعاناة مشتركة؟
- من الذي قام بطلب المساعدة لهذا الفرد أهو، أم أحد أفراد الأسرة؟

فإذا كانت المعاناة مشتركة بين أفراد الأسرة، والطلب قدم من أحد أفراد الأسرة أو أنه كان مرافقا للفرد المعني، اتضح بأن الأمر يتعلق بمشكلة أسرية أكثر منها فردية، وبالتالي يمكن اقتراح العلاج الأسري على كامل أفراد الأسرة، أما إذا كانت المعاناة فردية وليست مشتركة، وكان الفرد هو من طلب المساعدة لوحده، فهنا نكون أمام بنية فردية مضطربة ولايتعلق الأمر بنسق أسري كامل.(Neuberger,1987 , p 70)

ويختصر نوبارجي كل هذا في عبارة الفرد العرض أو الحامل للعرض

" être symptôme ou avoir le symptôme"

بعد دراسة الطلب والتحقق من أن المشكلة المطروحة أمامنا تتعلق بأسرة بكاملها يقترح المتدخل النسقي العلاج الأسري النسقي، وهذا بعد أن يشرح للأسرة بأن الخلل في اضطراب الفرد، متعلق بتفاعلات علائقية أسرية غير سليمة، وأن الحل الأمثل للتكفل بهذا الاضطراب هو تعاون جميع أفراد الأسرة، وأن حضور أفراد الأسرة مع الفرد الحامل للعرض يعطي فرصا أكبر للشفاء، كما يحاول المتدخل النسقي أن يفهم الأسرة بأنه بحاجة إلى مساعدتها، حتى يستطيع هو مساعدة الفرد المراد التكفل به.

وهنا يجب أن يضفي المتدخل النسقي الكثير من الليونة والبساطة والتواضع، حتى لا يقع في فخ تكتل أفراد الأسرة ضده، وبالتالي صعوبة مواصلة العلاج الأسري.

– أخذ موعد مع الأسرة للالتقاء، من أجل بدء الحصص العلاجية، وهذا يكون بالتشاور معهم كل حسب ظروفه (ظروف العمل أو التمدرس) وظروف المتدخل النسقي كذلك، وقد يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى يضبط الموعد بدقة، ثم يأخذ المتدخل النسقي رقم هاتف الأب أو الأم، كما يترك لهم رقم هاتفه (هاتف العيادة إن وجد) إذا طرأ أي تغيير في الموعد، سواء من قبل الباحث أو الأسرة .

المحاضرة السادسة

الاطار الزماني و المكاني للمقابلة

– بعد ضبط الموعد يهيئ الباحث النسقي الإطار الفيزيقي الملائم للبحث، وهو عبارة عن مكتب لا يحتوي إلا على مجموعة من الكراسي، تعد هذه الكراسي حسب عدد الأفراد الذين وافقوا على الحضور مسبقا، وإن لم يحضر أحد الأفراد يبقى كرسيه فارغا، ولا يسحب وهذا ما يسمى بالعمل مع الغائب le travail del'absent (Heirman,M,1999 ,p58)

– توضع الكراسي على شكل حلقة، ويضع المتدخل النسقي كرسيه في وسط هذه الحلقة (حذوة الحصان)، على أن يكون قريبا من أفراد الأسرة، ويطلب منهم الجلوس كل حسب رغبته.

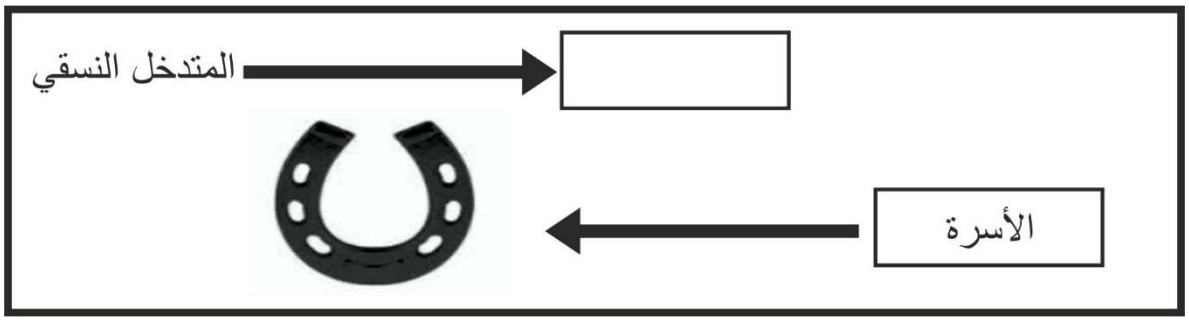

مخطط رقم (04) يوضح توزيع أفراد الأسرة أثناء المقابلة الأسرية

– بعد حضور أفراد الأسرة يقوم الباحث ليفتح الباب بنفسه ثم يحي الجميع

– يقدم الباحث نفسه، ويطلب من كل فرد أن يقدم نفسه (في هذه المرحلة يظهر غالبا الفرد الذي يحمل الكلمة في الأسرة) le porte parole

غالبا ما يُطلب الإذن بالتسجيل، مع التوضيح بأن هذا التسجيل يستعمل لأغراض علاجية أو بحثية فقط، وأنه سيتم محوه بمجرد أخذ المعلومات

اللازمة (يتفق أغلب الممارسين النسقيين بأن التسجيل ضروري جدا سواء للباحث أو للأسرة، للباحث من أجل مراجعة تدخلاته والوقوف على كل ما هو إيجابي أو سلبي، وللأسرة لأنه في خضم المعلومات الكثيرة قد تضيع معطيات لا يمكن ملاحظتها دون إعادة سماعها).

– البداية في ربط علاقات مع الأسرة (L'affiliation)كما يسميها مينوشين، وهذه السيرورة تبدأ من المقابلة الأولى حتى نهاية المقابلات، أي أن الأمر يتعلق بعمل متواصل.

– تكملة الجينوغرام، والذي يعد أداة لا يمكن الاستغناء عنها، وليس من الضروري تكملته في حصة واحدة، خاصة إذا كانت العائلة موسعة وهناك أعضاء أكثر سواء في الجيل الثاني أو الثالث (يبنى الجينوغرام على ثلاثة أجيال، أفراد الأسرة الحاضرين، الآباء والإخوة، ثم الأجداد)، وسنتطرق لهذا العنصر كتقنية لجمع المعلومات، وكتقنية بحثية.

– استقصاء العرض أو فحص العرض، لكن في المقابلة النسقية يكون بداية بالفرد الحامل للعرض، ثم محاولة فهم وجهة نظر كل فرد من الأسرة للعرض، وماهي الحلول التي تم القيام بها من قبل، حسب كل فرد.(Stierlin,H,1979)

– تسيير المعلومة، وهنا يكون عن طريق الأسئلة الدائرية، حتى يتسنى لكل فرد رؤية زوايا لم يكن يراها من قبل، والمعلومة حسب أسلوس ليست كل معلومة، وإنما المعلومة المهمة (Ausloos,G,1983,p 31)

– محاولة بناء فرضيات عمل من خلال المعلومات والملاحظات التي يدونها الباحث النسقي، وليس بالضروري التشبث بفرضية بعينها، حيث نستطيع بناء فرضيات ثم نقوم بفحصها، وإن لم تكن عملية يمكن صياغة فرضيات جديدة ثم العمل عليها.

- التركيز في الملاحظة، خاصة في فترات أزمة أثناء المقابلة، وهذا عند كل فرد، سواء ما يشاهده المتدخل أو ما يسمعه أو ما يحسه.

ملاحظة: تعد مسألة الأحاسيس والمشاعر أثناء المقابلات الأسرية للباحث النسقي أمرا غاية في الأهمية، فقد تدخل القصة الأسرية للباحث النسقي أثناء تدخلاته (les résonances)، وبالتالي فهو مطالب إما بمعالجة الأمر مع معالج أو نفساني آخر، بأن يحكي له عن مشاعره القوية التي تحركت في لحظة ما إلى (غضب، حزن، امتعاض، كره،...الخ) أو أن يوقف العمل العلاجي ويوجه الأسرة إلى معالج أسري آخر.

من الجدير بالذكر أن هذه المراحل هي متداخلة، عدا المرحلة الأولى (دراسة الطلب)، والعمل يقع ضمن هذه المراحل، فالحصص التي تلي لا تكون بعيدة عن بعضها في أغلب الأحيان، فالمطلوب هو بناء وتسيير المعلومات، وفتح مجال للنقاش وملاحظة النسق الأسري في كل لحظة، ثم بناء فرضيات، باختصار هناك جانبان ينبغي الاعتناء بهما:

- **جانب تقني:** وهو يخص إطار العمل وكيفية توجيه الأسئلة، وبناء الفرضيات.

- **جانب الأحاسيس:** وهنا ينبغي للباحث أن يمعن النظر في انعكاسات مشاعره les résonances حتى لا يقع في قصته الشخصية، وبالتالي بناء فرضيات بعيدة عن واقع الأسرة التي يحاول التكفل بها، وهي أقرب إلى قصته الفردية على مستوى أسرته(Rober,P,1999,p131).

المحاضرة السابعة

الجينوغرام Le Génogramme :

يعد ظهور الجينوغرام كتقنية لجمع المعطيات أو كتقنية للتكفل منذ عدة سنوات تحت تأثير أعمال العديد من الباحثين، أمثال بوين موراي M,Bowen، عند عمله مع أسر الفصاميين، وأعمال إيفان بوزورمني ناجي Ivain,B,Nagy، حيث تحدث هؤلاء عن أثر الأجيال السابقة في ظهور العرض عند جيل معين، وهو ما يصطلح عليه Aranud, L(لومار، أروند) أهمية الديناميكية العلائقية العمودية، والحديث هنا حسب الكاتب دائما هو الحديث عن طقوس، عن أسرار، عن قيم، تُنقل من جيل لآخر، دون أن يعرف الجيل الحالي دوافعها(Aranud,L,1999, p 51)

إذن فالجينوغرام هو بناء لقصة عائلية عبر عدة أجيال و هو حجر أساسي، تتشكل هذه القصة والشبكة تمتلئ، أحيانا في الفوضى الزمنية، وأحيانا أخرى بسكوت يخيم على الأسرة، وأحيانا بالنسيان، وأحيانا أخرى بالتراجع ،و عبر كل هذا تتشكل سلاسل، مرات من الحقد، ومرات من الحنين، عبر عدة أجيال، وهي اللحظة المناسبة لظهور تشابهات، تكرارات، بين الجيل الحالي والأجيال السابقة.

(Evelyne & Aranud,1985, p120)

وعبر كل هذه الشبكات العلائقية بين هذه الأجيال، تظهر للباحث مفاهيم عديدة كالخرافة الأسرية، إشكالية الولاء، ميزان الأخذ والعطاء، الميزان العلائقي، وهي كلها مفاهيم وقف عندها مطولا إفيان ، ب، ناجي Ivan,B,nagy في مقاربته الإطارية للأسرة، وفي بحثنا هذا سنستعين بالجينوغرام للأهداف التالية :

- إبراز ملامح الأسرة النووية التي نعمل معها والعائلة الممتدة، وذلك بتوضيح العلاقات بين مختلف أفراد النسق العائلي.

- ملاحظة الأحداث المتكررة، ومختلف الأزمات المتشابهة بين مختلف الأجيال.

- ملاحظة القواعد التي حكمت الأجيال السابقة والتي تؤثر بشكل مباشرة في الأسرة الحالية.

- ملاحظة مختلف أنماط الولاء في الأسرة الحالية، وامتدادها للأجيال السابقة سواء كان ولاء مرئيا أو غير مرئي.

- انعكاسات الإرث الذي يحمله كل طرف من الزوجين على نمط العلاقات الزوجية والأسرية بشكل عام.

- **طريقة بناء الجينوغرام**

المحاضرة الثامنة

النسق الاسري و النسق العلاجي :

لو كان الأمر يهتم بالأسرة وحدها لاستطعنا إعتبار المعالج النسقي كملاحظ محايد لظاهرة موضوعية , هذه الملاحظة الخارجية يمكن أن تحدد درجة مرونة أو صلابة النسق الأسري و هذا عن طريق ملاحظة ظاهرة التكرارات , النمطيات في التفاعلات لكن في الأصل و بعد دخول السيبرنيطيقا الثانية اختلف الامر و أصبح الحديث عن المعالج النسقي كطرف في هذا العلاج , أي أنه داخل النسق الأسري و بالتالي أصبح الحديث عن النسق الأسري و النسق العلاجي كنسق واحد .

و انطلاقا من هذا المبدأ يجب أن نفكر في مفاهيم التشخيص و التغيير وبحيث يجب ألا نأخذ في الحسبان فقط الوظائف التي يشغلها كل فرد في الأسرة و إنما كذلك الدور الذي تريد الأسرة أن تمنحه للمعالج

فالمعالج النسقي هو عضو فعال في النسق العلاجي

عندما تستطيع الأسرة أن تستعمل تدخلات المعالج , من أجل إنتاج بنيتها الخاصة فإن النسق العلاجي الذي يتشكل صلب أكثر من النسق الأسري , و بالتالي فنحن نتحدث عن حالة جمود للنسق العلاجي .

لكن على العكس من ذلك عندما يستطيع المعالج أن يكسر صلابة النسق وهذا بإحداث إعادة توزيع جديدة للوظائف و للكفاءات فإن تدخلاته يمكن ان يكون لها أثر "مدخل مغير" Imput déstabilisant

فالمعالج في هذه السيرورة العلاجية و التشخيصية يجب أن يكون قادرا على الملاحظة من الخارج رغم أنتمائه إلى الداخل كقائد الأوركسترا , فهو يعزف على آلته

لكن دون أن ينسى وظيفته كقائد للجوق , فالأوركسترا يجب ان تتبعه كما يجب عليه أن يعزف و يسير في نفس الوقت .

(M ,Audolfi,p14)

إذن فللمعالج ثلاثة مهام :

1-تحديد الوظيفة التي تريد الأسرة أن تمنحها إياه : حيث أن الآباء قبل ان يولد إبنهم فإنهم يتخيلون ما سيكون عليه , و الوظيفة التي تريد الأسرة أن تمنحها إياه فعليه كسر الحدود التي تحجبه عن الأسرة و تضييقها , كما يجب أن يتخطي هذه الحدود بسرعة

(witaker ,1978)

2-يبحث المعالج النسقي عن تعريف للوظائف التي يقوم بها كل فرد , و هذا بالبحث عن الصور التي يمكن أن تلائمه و المشهد الذي قد يكون مناسبا لوضعه فيه .

لكن الأمر ليس إلا محاولة لكشف "حقيقة" الوظائف التي يقوم بها كل فرد , الروابط التي تجمعها , و القواعد التي تتحكم في النسق , إذن فالعملية هي بناء فرضي فقط داخل النسق العلاجي , لحقيقة جديدة , لعله يمكن للمعالج أن يقلب انتظام الأسرة الحالي ,و في كل هذا فالمعالج مطالب بوضع حقيقة جديدة مع الأسرة .

3 - يجب على المعالج ان يكون قادرا على تقييم الكثافة و القوة التي سيعطيها أثناء المعلومة imput déstabilisateur حتى يكون تدخله مقبولا من قبل النسق الأسري

كل هذا يتم عبر تفاعلات علائقية بين المعالج و الأسرة , حيث يختار المعالج المعلومات المهمة و التي تأتي من النسق الأسري و تعود إليه , كما أن منهجية

البحث عن المعلومات في النسق الأسري لا تكون عن طريق القنبلة بأسئلة عديدة , إذن فالمهم ليس كتلة الأسئلة , و لكن المهم فيها التساؤل الرئيسي يكون حول فهم الصراع الحقيقي بين الميل إلى التناغم و الميل إلى الإختلاف .

فالتصور الذي يضعه المعالج يصبح هو الإطار الذي يحكم العلاقات في إطار النسق العلاجي , فعندما تعطي الأسرة معلومات مرتبطة بصورتها التي تريد إعطائها عن نفسها , هنا يجب على المعالج أن يفرض صورة أخرى و التي بإمكانها قطع الدوائر (circuits) الترددية القديمة .

إن المعالج يستعمل هذه الصورة الجديدة كمدخل imput distabilisateur من اجل دراسة الكيفية التي يتعامل بها النسق , إجابة الأسرة , قدرتها , عدم قدرتها في التحول تعطي مؤشرات حاسمة للمعالج حتى يقيم درجة صلابة النسق , كل هذه المعطيات تفرض على المعالج الأسري مرونة في تفكيره , و توسيع أفقه بحيث لا يتثبت بفرضية بعينها , بل بالعكس من ذلك فالفرضيات نسبية فالمعالج يبني فرضية ثم يقوم بفحصها و إذا لم تتحقق يقوم بصياغة أخرى دون الإصرار على واحدة .

المحاضرة التاسعة

- إعادة التعريف : مصفوفة التغيير la redéfinition

- إعادة تعريف العلاقة العلاجية :

إن مصطلح إعادة التعريف هو ترجمة لمصطلح redéfinition و المقصود منه هو قراءة جديدة لوضع قديم .

إن تشكل النسق العلاجي هو سيرورة من خلالها يحاول المعالج الأسري التدخل من أجل إعادة تعريف أو وضع العلاقات , حيث ينطلق من تعريف الأسرة التي تعطيه لذاتها محاولا التغيير عن طريق دلالات جديدة للتفاعلات الموجودة بين مختلف الأفراد و بينهم و بين المعالج , إن هدف إعادة التعريف هو قلب المخططات الاتصالية بين الأنساق الفرعية و خلق حوار مستقر للمشهد العلائقي .

تحاول الأسرة غالبا إستيعاب جميع المعلومات الجديدة و هذا عن طريق المخططات المألوفة , إذن فأي إعادة تعريف جديدة يمكن أن تصطدم بمخططات مألوفة مسبقة و بالتالي تحييدها , فالأسرة تبقى في محاولة إرساء قواعدها و مخططاتها حتى على المعالج , و هي في سبيل البحث عن وضع المعالج داخل سجن لعبتها .

إن الأسر تحاول أن تعطي تعريفها لذاتها سواء علنيا explicitement أو بصورة مخفية implicitement , فهي تعرف ذاتها خفية عن طريق الإتجاهات و السلوكات الغير لفظية و التي تكون بين أفراد الأسرة و بين المعالج , أو علنيا عبر كل ما هو لغوي .

إن إعادة التعريف ليست تصغيرا للسلوك المرضي عند العميل , ولا هي خفض التوتر عنده , لكن المهم هو إعطاء السلوك المرضي قراءة جديدة وهذا يخلق إطار بحيث يقدم المعالج العميل ليرى بشكل جيد علاقته بمرضه و بأسرته

- **إعادة تعريف السياق : redéfinition du contexte**

كل فرد يعرف نفسه بحسب ما يقوله و كذلك بأفعاله, المواضيع التي يستعملها في طريقة تفعيلها , في الدلالة التي يعطيها لها ,كل هذه العناصر تساهم في خلق السياق الذي تتم فيه التفاعلات , من جهته هذا السياق هو الذي سيحدد طبيعة هذه التفاعلات

إن السلوكات أو المواضيع الشخصية ذات الإستعمال المشترك و الطقوس تستعمل كلها للتعبيرعن نوايا , من أجل التعليق على سلوك معين للآخر , ومن أجل إقتراح سياق جديد حيث تكون فيه التبادلات العلائقية ممكنة

ومن أجل إحداث تغيير للسياق , يجب أحيانا إدخال عناصر جديدة , أو تتمة أفعال غير متوقعة , كإعادة توزيع الإطار المكاني (الكراسي) لأعضاء النسق , تغيير فترات صمت (وضعها .... إيقافها) الريتم التفاعلي أو حتى خلق تبادلات بين أفراد النسق (AUDULFI 1977 , SELVINI 1970), في المقابل فإن التبادلات المستقبلية ستتغير لأن السياق تم تغييره .

إذن فإن المعالج النسقي بإستعمال هذه العناصر يستطيع إعادة تعريف العلاقة بواسطة طرق مختلفة , وهذا بوجوده في عدة مستويات (علائقية , سياقية ....)

- **إعادة تعريف المشكلة : redéfinition du problème**

إن المشكلة التي تطرحها الأسرة هي الطلب العلاجي حيث لا يمكن تعريفها أو تعريف السلوك المرضي بصفة منعزلة عن مجموع العلاقات التي ينتمي إليها هذا السلوك إذن لا يجب الخلط بين القوقعة التي نتجت و التفاعل الكيميائي الذي جاءت منه .

هدفنا في العلاج النسقي هو نقل العرض , رؤية محتوياته العلائقية , توضيح فكرة أن العرض وظيفي من أجل حفظ الاستقرار الحالي وهذا لكافة أفراد الأسرة , و من أجل الوصول إلى هذا يجب تحليل البنية التي ينتمي إليها العرض و إعادة تعريف العلاقات التي هي أصل هذا الإضطراب , كما يجب إخراج العرض من قراءته التصغيرية , الخطية التي تحاول الأسرة إعطائه إياه .

إذن فإن المطلوب هو وضع العرض ضمن قراءة علائقية بديلة و من هنا يمكن الحديث عن علاقات جديدة , و ضمن هذه القراءة الجديدة يصبح العرض مشكلة أسرية لا مشكلة فردية , فالعرض يجب ان يوضع ضمن واقعية علائقية أكثر تعقيدا

قد لايكون من السهل إقناع الأسرة بقراءة دائرية (circulaire) للعرض لكن من الممكن وضع وجهات نظر أخرى للأسرة تكون عن طريق التدخلات العلاجية .

بناء الفرضيات في المقابلة النسقية :

إن الحديث عن الفرضية هو الحديث عن شرط يجب التقيد به في العمل العيادي و بالتالي التقدم في العلاج .

ما نسميه فرضية في العلاج ما هو في الحقيقة إلا تفسير يضعه المعالج ليفسر عرضا ما في وقت معين داخل نسق أسري ما .

بالنسبة لسيلفيني SELVINI 1983 فالفرضيات في العلاج النسقي هي تخمينات suppositions غير مثبتة , مقبولة كأساس لعمل استكشافي داخلي فهي تشبه الفرضيات في العلوم الأخرى لكن هذا التشكيل الفرضي في العلاج النسقي لا يجب أن يغفل أمرين :

_ الأول : هو ان الفرضيات في العلاج النسقي تأخذ بعين الاعتبار الوضعية العلاجية ,فالأمر لا يتعلق بوضع تجريبي للتأكد من الفرضية , ولكن الأمر يتعلق بوضعية تفاعلية لأعضاء النسق الأسري , ففي الأخير ليس هناك شيء لإثباته ولكن الأمر يتعلق بسيرورة يتم تفعيلها .

_ الثاني : الأمر الثاني وهو أنه في العلاج النسقي ليس هناك هدف الفهم ولكن التغيير فهي ليست بحثا كما أنها ليست تجريبا , ولكن الأمر يتعلق بتصور فرضي يساعد المعالج النسقي على وضع تصور علاجي .

إن المتعارف عليه في العلاج النسقي هو أن الفرضيات في هذا الاتجاه من العلاج نسبية أي ان الفرضيات تبنى و تنهار بين العيادة و التحليل , حيث ان المعالج النسقي عندما يواجه عرضا ما في الاسرة فالمطلوب منه هو الوقوف بأكبر قدر من الموضوعية (و هو ما يشكل خطرفي حالة دخول الذاتية أي القصة الأسرية للمعالج و بالتالي قد تبنى فرضيات تعني قصة المعالج أكثر من الأسرة) , ويقوم ببناء فرضياته بناء على المعطيات العلائقية التي تحدث أثناء الجلسات , ثم يقوم المعالج بتفحص هذه الفرضيات و إن لم تكن صحيحة او غير ملائمة يضعها المعالج جانبا , و يقوم ببناء فرضيات أخرى , او أنه يعدل فيها .

كيف تبنى الفرضيات في العلاج النسقي :

إن المتعارف عليه في بناء الفرضيات هو نمطها الخطي و هو ما يميز علم النفس في جميع فروعه منذ سيطرة التفكير الخطي في هذا التوجه (تحليل نفسي , علم النفس المعرفي , علم النفس التجريبي ....) فالفكرة التي كانت سائدة هي

سبب ← نتيجة , لكن و مع ظهور التفكير النسقي و التي تعتمد على مبدأ الدائرية , التفاعلية , فلا وجود لسبب و نتيجة فالأمر يتعلق بشبكة علاقات معقدة الكل فيها يؤثر و يتأثر , أي كما يقول Mingui الكل حرفي وضحية الوضعية العلائقية .

و الجدول التالي يوضح نمط التفكير في المستوى الخطي , الدائري , و النسقي .

جدول يوضح مختلف أنماط التفكير :

مستوى القراءة	مستوى سببي خطي	مستوى سببي دائري	مستوى نسقي
تعريف	العرض هو مشكل (كل ما يعاش كعرض)	العرض هو رسالة (أثر العرض على العلاقة)	العرض هو حل (وظيفة العرض داخل و لأجل النسق)
النموذج المنطقي	أ ⟵ ب العرض **ب** مرتبط بسبب إمراضي Pathogène و هو أ	أ ب ⟵ ج **أ** و **ب** ... هم أحيانا أعراض لسبب إمراضي و أحيانا أخرى أسباب للأعراض .	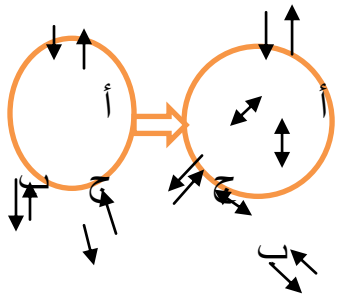 **أ , ب** .... هم أحيانا أعراض و أسباب و عناصر للحل داخل و لأجل النسق .
نماذج التدخل و العلاج	1- العلاج العرضي (علاج العرض) -القضاء على العرض أو سببه . 2- تشويه أو تغيير السببية .	1 -إيقاف سيرورة الإعادة (حلقة الدوران المغلقة) التعامل مع العرض :كأن العرض غير موجود , إزدواجية الرابط .....الخ . 2 - التغيير على المستوى المنطقي التعامل بإيجابية مع النسق.	" ما وراء العرض " مناقشة المعتقدات التي أصبح لا مفر منها و التي هي سبب وجود هذه الحلقات الجامدة و المغلقة و التي بدورها تعيق تطور النسق .
التوجيه	1-العلاج العرضي إذا كان الخوف من المرور الى الفعل في الوسط الإستشفائي أو الأسري او 2	1 -إيقاف السيرورة الخاصة لهذه الدائرة إذا كانت خطيرة (خطورة العرض) أو للسبب المؤدي إلى ذلك أو -2	المرجع : « lecture des symptômes » R . Neuberger C .E.F.A . mars 1987

المحاضرة العاشرة

مفهوم العرض في المقاربة النسقية:

سنحاول في هذا المحور الحديث عن مفهوم العرض عند بعض أعمدة المقاربة النسقية وبالتالي فهم وجهة نظرهم للاضطراب النفسي من وجهة نظر علائقية، والتي ستكون مرجعنا في كل العمل الدي سنقوم به.

– " إن مصطلح العرض هو مشتق من عبارة طبية والتي تعني: ظاهرة مرئية والتي تسمح بوضع تشخيص للفرد من شيء غير مرئي(Amiguer &Julier,2004, p30)

- **بالنسبة لـ جاي هالي J, Hally:** فهو يتحدث عن العرض كطريقة للتفاوض مع الآخر، إنها تكتيك علائقي ولكن السؤال الذي يطرح نفسه (حسب الكاتب دائما) هو معرفة هل من الممكن منع ظهور هذا العرض؟

فالكاتب يقول انه عند الحديث عن التكتيك العلائقي فإننا نتصور أنه من الممكن الحديث عن جزء من الوعي الشخصي للفرد.... وأنه على عكس ذلك فالعرض يمكن أن يكون اتجاه غير شعوري بحيث يصبح الفرد نفسه مسيرا بهذه الظاهرة، وليس له التحكم في زمام الأمور (Hally,J.1963 ,p 20). إذن فجاي هالي يسلم بأن العرض هو تكتيك علائقي من أجل التفاوض داخل نسق أسري، لكنه يبقى يطرح التساؤل حول هل أن هذا التكتيك شعوري يتحكم فيه الفرد أم أنه خارج عن سيطرته، وبالتالي يصبح الفرد هو نفسه في قلب العرض أو (الظاهرة).

- **مدرسة بالو آلتو Ecole Pallo Alto:** أرادت مدرسة بالو آلتو القضاء على العرض باللعب حول تقنية الوصف المتناقض للعرضla prescription paradoxal أو بالعمل مع العرض، حيث ترى هذه المدرسة أنه ومع ظهور العرض، فالكل يركز عليه ويتمركزون حوله مع إرادة التخلص منه في أسرع وقت ممكن، متناسين في ذلك أن الفرد الحامل للعرض يصبح الموضوع المركزي الذي يحرك ويجعل الجميع مستعدا ،كما أنه يزعج الجميع وهذا في آن واحد. لكن التساؤل المركزي الذي طرحته المدرسة هو كيف نستطيع التأثير خارجيا في شيء لا نتحكم فيه؟

في هذا السياق ترى مدرسة بالو آلتو أنه ليس من الواجب التركيز على أسباب العرض ولا حتى التدقيق في العرض في حد ذاته وإنما المهم هنا هو حل المشكلة.

أي ليس من المهم تغيير ما كان السبب في الأصل والذي سهل ظهور العرض، ولكن المهم هو إيجاد اتجاهات وسلوكيات جديدة من أجل علاج أفضل، ومن هنا جاء التساؤل الآخر لبالو آلتو، هل التكفل بالعرض يكون في الأسرة لوحدها فقط؟ أم يجب العودة إلى هياكل أخرى؟ وهل العرض جاء ليحافظ على شيء ما أم جاء ليغير شيء اخر؟

في هذا المنحى جاءت السيبرنيطيقا الأولى 1ere cybernétique ، حيث كان المعالج يستكشف النسق من خارجه أي كملاحظ خارجي ويحاول تطبيق حيادية فعالة قدر الإمكان، لكن دائما من خارج النسق ومن هنا جاءت فكرة أن العرض يفهم" كآلية علائقية" وأصبح بعد ذلك الحديث عن مصطلح"le patient désigné" أي بمعنى آخر العميل الحامل للعرض.

إذن فالمنطق كان يعني بأن نعالج الفرد المعني مباشرة وهذا في الرؤية الخطية لكن في المقاربة النسقية فالاهتمام ينصب على العلاقات البين أسرية وعلى مختلف التفاعلات وعلى ماذا يجري داخل هذا النسق الأسري، بعد ذلك نستطيع أن نلاحظ أن العرض ينتمي إلى هذه اللعبة العلائقية والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.(Hairman,M.1999,p39)

- **جاي أوسلوس Gay Ausloos**:بالنسبة له فإن الفرد الحامل للعرض هو الفرد الذي قبل دور إنتاج العرض والذي يسمح بتوازن كافي لكامل النسق.... وبالتالي وجب اعتباره الفرد الأكثر كفاءة في الأسرة، إن هذا الأمر حسب" أوسلوس " ضروري ومنطقي بالنسبة للأسرة وبالتالي من المهم أن يستمر هذا العرض لكن في عوض أن يكون الفرد ضحية يصبح شريكا.

كما أن"أوسلوس"لا يعتبر العرض كاضطراب، ولكن كرسالة خاصة، شكل من أشكال الاتصال مهم لكل النسق، والذي لا يأخذ معناه إلا ضمن قراءة للتفاعلات الأسرية.

كما أنه يضيف بأنه لا يجب القضاء على العرض ولكن الحفاظ عليه مادام وجوده لازما لاتزان الأسرة.(Ausloos,G. 2005,p19)

- **أندولفيAndolfi:** بالنسبة له فإن العرض هو إشارة والتي تمثل الأبنية الجامدة للعلاقات الأسرية، إنه يحمي التوازن الذي خلق حول وضعية صراعية، وعوض تصنيف هذا السلوك الفردي، فالأحرى هو تفكيك وتحليل هذا العرض وإعطاؤه معنى في ظل الوظيفة والإطار الذي ظهر فيهما، وبالتالي يقول أوندولفي فإن التشخيص يجب أن يتحول إلى تقييم وظيفة هذا العرض داخل النسق الأسري.

كما أن أوندولفي يرى بأنه عوض اعتبار العرض مشكلة الفرد لوحده فإن هذا السلوك المرضي يجب أن يصبح مشكلة جميع أفراد الأسرة، ويجب أن يُدرك ضمن واقعية علائقية معقدة، وهذا بعد أن نصل إلى مفهوم أن العرض له وظيفة الحفاظ على النسق الأسري ككل (Andolfi&Amiguer,1985, p50).

- **كاييCaillé:** بالنسبة له فإن العرض يعكس صورة لحالة أزمة لكن مع تحليل جد متقدم، فالمقصود هنا هو المحاولة الدائمة لحل الأزمة أو إضعاف شدتها، فالعرض يعطي للفرد الحق في خلق اتصال مع المعالج.

إذن فالعرض حسب Caillé يشكل سببا كافيا لخلق هذه العلاقة، كما أن مصداقية العرض تكون في قدرته على إعادة الظهور دون القدرة على منعه . (Caillé,Ph,1991)

- **ايفان ناجي Ivan Nagy:** يتحدث ناجي عن الروابط التي تجمع أفراد الأسرة والتي تشكل مسرحا للعلاقات، ويُعد الولاء قوة معدلة للأنساق، إنها تأتي من قرابة الدم والأبوة، كما يضيف ناجي بأنه حتى تكون العلاقة سليمة فلا بد من وجود عدالة علائقية (équité relationnel)، عدالة في التبادلات، بحيث تكون إمكانية الأخذ والعطاء موجودة.

وعندما يكون اختلال في هذه العناصر، يكون هناك محاولات لإعادة الأشياء إلى نصابها وبالتالي فالعرض ليس إلا اختلال في هذه العناصر. (Hairman,M.1999,p59)

• **نوبارجي** Neuberger :من ناحيته هو يطرح إشكاليتين متى يكون الفرد هو العرض أو هو حامل للعرض (être ou avoir le symptôme)بحيث يرى نوبارجي بأن وظيفة حمل العرض تعني أن المقصود هنا أن البنية الشخصية للفرد هي المسؤولة عن العرض، أما أن يكون الفرد هو العرض فهذا ما يؤشر الى وجود خلل في النسق العائلي.

نوبارجي يرى بأن وظيفة العرض تؤدي بنا إلى مفهوم المجموعة كما أنها تؤدي بنا إلى الفرد، والذي يعطي معنى للعرض ككل.

كما يضيف نوبارجي أن أمر حامل العرض أمر مهم لأنه يُدخل مفهوم المسؤولية الفردية عند المجموعة.(Neuberger,1987,p 50)

• **موني الكاييم Elkaim , M** : بالنسبة لـ الكاييم فهو يتحدث عن الأنساق البعيدة عن التوازن (Prigogine): أي عندما نبتعد عن المعيار يتشكل بشكل قوي إعادة انتظام جديدة، إذن فالعرض يصبح ذا وظيفة أوميوتستاتيكية وفي مرات أخرى ذو وظيفة تأزيمية (crise) بحيث يصبح التغيير لابد منه.

كما أن موني الكاييم يتحدث عن العرض بوظائف أخرى كمأزم للوضع وهنا فعلى المعالج أن لا يحصر تفكيره في أن العرض ينحصر في الأسرة فقط، ولكن يمكن أن يبتعد الأمر إلى أنساق أخرى بحيث تكون هذه الأنساق مشاركة في الأسرة (كالمدرسة مثلا).

إذن فالنسق الأسري ليس الوحيد الذي لديه تفسير العرض، فالعرض قد يكون ذا معنى عند التقاء نسقين في وقت ما، فالمطلوب هنا كما يضيف الكاييم لا يصبح إيجاد توازن، بقدر ما يصبح العمل على خلق منظومات جديدة أمرا غاية في الأهمية. (Alkaim,M.1995,p29)

المحاضرة الحادية عشر

المقابلات الاولى في العلاج النسقي:

تكتسب المقابلة الاولى اهمية خاصة في العلاج النسقي فأول ما يقابله المعالج النسقي هو التوتر او القلق الذي يعتري الاسرة و الذي يمكن ان يكون متوقعا و مفهوما لان الاسرة تتعامل لأول مرة مع هذا النوع من العلاج كما انها تكون في انتظار ما سيحدث خلال المقابلات كما يجب ان يضع المعالج النسقي في حسبانه بان الاسرة ستحضر للعلاج لكن مقاومتها ستكون حاضرة سواء بشكل علني او مخفي و المطالب من المعالج ان يمتص جو القلق و التوتر

كما يجب ان ينتبه المعالج الى بعض عبارات التعاون و الترحيب من قبل الاسرة و انهم مستعدون لمساعدته فهذا الترحيب قد يخفي مقاومة شديدة اتجاه التغيير فالأسر كما يقول موني الكاييم تأتي بطلب متناقض و هو غيرنا دون تغييرنا و الخوف من التغيير موجود عند جميع الاسر فالأسرة الفت طريقة توظيف اسري معين و هي ليست مستعدة للتغيير بسهولة كما ان الاسر تأتي بقناعات ان الفرد الحامل للعرض هو المضطرب و بان الامر لا يتعلق بنسق اسري بكامله

فمن البداية نؤكد ان هذه المرحلة في العمل العلاجي هي مرحلة ربط الصلة بالأسرة و على المعالج ان يكتسب صداقة الاسرة و يحاول ان يندمج في النسق الاسري و ان يتوائم مع الاسرة مع اسلوبها مع ايقاعها اسلوبها لكن دون مبالغة او افتعال حتى لا ينقلب الموقف الى مزحة او فكاهة او سوء فهم من جانب الاسرة فهذه المرحلة هي مرحلة بناء

اذن فعلى المعالج ان يختزن في عقله كل ما يصل اليه من معلومات و ان يقوم بتسييرها و هي بداية بناء فروض العمل و التي تبنى و تنهار بين العيادة و التحليل لذلك فان الجهد العيادي خاصة عند معالج مبتدئ يتركز في البداية على ربط صلة قوية بالأسرة

كما يأخذ المعالج في حسبانه تكاثف الاسرة و محاولة استدراجه للتوجهات التي تتبناها الاسرة و بالتالي وئد اي محاولة لفهم الخلل على مستوى الاسرة اذن فالمطلوب من المعالج هو دخول النسق الاسري و ان يصبح فردا منه و لكن لا يجب على المعالج ان لا ينصهر تماما فالمطلوب هو الانتماء لكن مع الاحتفاظ بصفة الملاحظ

و أيا كان الاسلوب الذي يتبعه المعالج فالمهم في المقابلة الاولى هو بناء علاقة متينة مع الاسرة و البدء في بناء فرضيات العمل و اول ما سيواجهه المعالج في المقابلات الاولى هو التفكير الخطي للأسر اي سبب–نتيجة كما ان الاسرة لها قناعات بان الفرد الحامل للعرض ادا ما عولج فان كل امور الاسرة ستكون على ما يرام .

و في كل الحالات ينبغي على المعالج ان تكون اسئلته دائرية غير خطية كما لا ينبغي له ان يجبر احد الافراد على الحديث "و يحدث هذا غالبا مع الفرد الحامل للعرض حيث يحاول الجميع دفعه للحديث" في الوقت الذي يكون فيه هذا العضو غير جاهز او غير قادر على الحديث و الحبب هنا هو استعمال الاسئلة الدائرية كان نسال احد افراد الاسرة عن حال العميل او ما المجهودات التي قامت بها الاسرة لمساعدة العميل .

و ترى فرجينيا ساتير ان على المعالج في المراحل المبكرة ابتداء من المقابلات الاولى ان يعطي فرصة لكل عضو في الاسرة ليعبر عن وجهة نظره فيما يتعلق بالمشكلة التي اتت من بالأسرة للعلاج الاسري و من خلال الاحاديث و تحليلها و تسيير المعلومة يستطيع المعالج ان يقيم انماط الاتصال في الاسرة تحالفاتها حدودها مائعة جامدة و وظيفة كل عضو في الاسرة هل هو قادر على الانتقال من وظيفة الى اخرى بكل سلاسة ام العكس .

المحاضرة الثانية عشر

-التيارات الرئيسية في المقاربة النسقية :

إن الحديث عن التيارات النسقية يقودنا إلى الحديث عن نموذجين كبيرين، بحيث وكما أشرنا في بداية الفصل تأثرت النسقية بجهتين، هما الشرق والغرب، جهة الشرق هم" النسقيون" الذين كانت لهم ميول تحليلية وهم القادمون من أوربا، وجهة الغرب وهم مجموعة" بالو آلتو" والذين كانت تسيطر عليهم النظرة البراغماتية، وهذان النموذجان هما النموذج المتزامن(synchronique) والنموذج التعاقبي أو التطوري(diachronique)

1 – النموذج المتزامن في المقاربة النسقية: هذا النموذج يضم مختلف وجهات النظر النسقية والتي تضع العرض في بعده العرضي (transversale)، بمعنى آخر في وقته الحاضر أي أن قيمته تفهم هنا والآن ici et maintenant،أي لا وجود لعلاقة تاريخية بين الفرد أو بالعائلة، بالنسبة للمقاربة النسقية المتزامنة فالأسرة هي نسق يتشكل من مجموعة من الأفراد في حالة تفاعل بحيث أن الاتصال هو الضابط في هذا النسق.(Inserm ,2004)

إن الهدف العلاجي من هذا التدخل النسقي هو تغيير الإطار التفاعلي العلائقي و الاتصالي داخل الأسرة التي تطور فيها العرض، أما التدخلات العلاجية فهي تختلف بحسب الهدف المراد بلوغه وبالتالي هناك عدة نماذج فرعية:

1-1- النموذج الاتصالي النسقي: كما تسمى هذه المقاربة بالعلاج التفاعلي المختصر أو السيبرنيتيكي النسقي، حيث تضع في صلب اهتمامها سوء التوظيف في النظام الاتصالي عند الأسرة، طور هذا النموذج من طرف مجموعة بالو آلتو Palo Alto(باتسون Beteson، د.جاكسون Jacksson , D، هيليHally، ويكلاند Weakland)1956 كما توبعت هذه الأعمال في 1958 بأعمال فاتزلافيك وفيشFish ،وكانت طريقة علاجهم مستوحاة من نظريات الاتصال والمعلومة،

ونظرية الأنماط المنطقية والسيبرنطيقا، درست هذه النظرية السيرورات الاتصالية والتغيرات التي تحدث في عائلات المدمنين والفصاميين.(Nguimfack,2008,p258)

في هذا المنحى لاحظ باتسون ومعاونوه (1956) أن هذه الأسر لها الميل إلى عدم التغير، لأنه مهما كانت الصعوبات التي تواجهها(التوتر) داخلية أو خارجية، فهي تضع آليات للمقاومة وعدم التغير وبالتالي الحفاظ على التوازن، إن هذه الأسر ترجع في كل مرة إلى العرض كآلية للمقاومة.

إن مجموعة بالو آلتو Palo Alto أكدت أن الأسر التي يُظهر أحد أفرادها اضطرابا، تظهر اضطرابات على مستوى أنماط التواصل الحالية، فمفهوم الرابطة المزدوجة أو الأوامر المتناقضة طُوِرَ ليوضح نمطا من الاتصال غير وظيفي عند أفراد الأسرة الواحدة.

فهذا النوع من الاتصال إمراضي حيث يحمل رسالتين متناقضتين في نفس الوقت، فمجموعة بالو آلتو، افترضت أنه عند وجود الطفل برسالتين أو أمرين متناقضين فهو يجد نفسه في وضعية لا يمكن فهمها، فمهما كانت ردة فعله فسوف يعاقب، ولهذا فإن أسلوس 2005 يقول بأنه في هذه الحالات فان الطفل يتفاعل عن طريق المرور إلى الفعل (Ausloos,G. 1983, p20)

كما أن هذه المقاربة تعتبر أن الفرد الذي يطور العرض يُفهم من قبل المعالج كسلوك تكيفي لهذا الإطار الاتصالي، هنا الفرد سيعتبر العضو في الأسرة الذي لديه درجة ردات فعل عاطفية مرتفعة، لأنه هو الأكثر تأثرا لحالة عدم الاتزان الأسري، إنه لا يحمل معه إلا المشكلة التي تعانيها الأسرة، وبالتالي يصبح هو العميل المخول " patient désigné "، عمليا التدخلات تكون ممركزة على الاتصال هنا والآن، و المهم في هذه المقاربة هو تحديد المشكلة وتحديد السلوكيات التي تؤطر من جديد القيم الإطارية للعرض وليس اقتراح تأويلات.(Inserm ,2004)

إن هذه المقاربة تعتمد على وصف العرض" prescription du symptôme "هذه التقنية التي يستعملها المعالج، يمارسها عن طريق التمظهر le semblant وهي ما

تسمى كذلك double binde thérapeutique فالفرد يتغير قام أم لم يقم بالأمر المطلوب منه، والمبدأ أنه بما أن الفرد يعاني من عراقيل مرضية contrainte pathologique أو double bindeالرسالة ونقيضها، فالعلاج يعتمد هنا على النقيض، أي أنه لو كانت لدينا فتاة لها فقدان الشهية العصبي فالمعالج سيطلب منها أن توقف الأكل، وأن هذا الأمر لن يضر أحدا في الأسرة وهي بالتالي ستقع في تناقض، إن لم تأكل وإن حتى أكلت، لأنها تصرح في البداية أنها لا تستطيع أن تأكل حتى ولو حاولت، إذن فالتناقض حله التناقض (Watslawick,J,P.1972,p .150)

إن وصف العرض يؤدي إلى تغيير الإطار أو الوضعية، بمصطلح آخر إن هذه التقنية تؤثر على علاقة العميل مع الوضعية أو الإطار.

1-2النمودج البنائي لمينوشين: إن المقاربة النسقية البنائية لصاحبها سلفادور منوشين S,Minuchin ظهرت في الستينيات من القرن الماضي، ويتضمن علاج الأسرة البنائي التركيز على الحاضر وليس على الماضي، وعلى تغيير السلوك وليس على اكتساب الاستبصار الذهني، فهي كما يعرفها مينوشن بأنها "كجسم من النظريات والتقنيات والتي تقرب الفرد من إطاره الاجتماعي" (Minuchin,S. 2005 P18,) كما أن مينوشن عرض نموذجا فعالا لكيفية أداء الأسرة لوظائفها تضمن صفات الانفتاح، المرونة، والتنظيم.

وقد حدد منوشن بوضوح سنة Minuchin, 1974 التوازن الضروري بين مبادئ الأنساق العامة في التوازن الحيوي والتكيف عندما كتب قائلا " أن الوجود المستمر للأسرة كنسق يعتمد على مدى كاف من الأنماط (عبر التفاعلية) والمرونة في تحريكها، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، وينبغي على الأسرة أن تكون قادرة على تحويل نفسها بأساليب تناسب الظروف الجديدة، دون فقدان الاستمرارية التي توفر إطارا مرجعيا لأعضائها (Minuchin,S.1974,P52)

إن مفاهيم المقاربة النسقية البنائية تنبع من قضية أن أفراد الأسرة يتفاعلون كل منهم مع الآخر في أنماط يمكن التنبؤ بها، والتي يمكن أن تلاحظ والتي يمكن أن تتكرر مع الزمن، ويعتقد مينوشين ورفاقه أنه إذا ما أردنا تغيير الأنماط الأساسية والبنائية

للأسرة فإنه من الواجب تغيير سلوك أفراد الأسرة، وعندما يتحول البناء فإن خبرة الأفراد في الأسرة سوف تختلف.

إن العرض الذي يبديه أحد أفراد الأسرة حسب منوشين هو نتيجة سوء التنظيم والتوظيف للبنية الأسرية، وهو الشاهد على التفاعلات الوظيفية الغير سليمة، والتي تعزز بالنماذج التبادلية paternes transactionnels في النسق الأسري، إن مينوشين يركز كل عمله على هذه المشكلة وهي مشكلة البنية الأسرية، حيث يعرفها بأنها شبكة العلاقات الغير مرئية من المتطلبات الوظيفية، والتي تنظم بشكل أو بآخر الطريقة التي يتفاعل بها أفراد الأسرة.

.(Minuchin,S.2005,P52.)

المحاضرة الثالثة عشر

والمفاهيم النظرية التي تأسست عليها المقاربة البنائية هي:

1-2-1 الأنساق الفرعية: وتظم أربع انساق فرعية أساسية، وكل منها له وظائف وأنماط تفاعلاته، هذه الأنساق الفرعية هي:

1-النسق الفرعي الزواجي أو نسق الشريكين، والذي يتكون من الزوج والزوجة.
2-النسق الفرعي الوالدي، والذي يتكون من الوالدين كسلطة تنفيذية أو صانعي القرارات في الأسرة.
3-النسق الفرعي الأخوي، ويتكون من الأخوة الأشقاء والأخوة الغير أشقاء.
4-النسق الفرعي وراء الأسري أو خارج الأسري ويتكون من الأسرة الممتدة والأصدقاء وشبكة الدعم الاجتماعية.

والأفراد الذين يندرجون تحت كل نسق فرعي يختلفون من أسرة إلى أخرى، فمثلا الأسرة ذات الوالد الواحد لا يوجد بها نسق فرعي زوجي، والنسق الفرعي الوالدي في هذه الأسر غالبا ما يتضمن الأجداد أو أخ اكبر لديه صلاحية اتخاذ القرار المناسب لإخوته الأصغر، وكل عضو في الأسرة قد ينتمي إلى عدة انساق فرعية، فمثلا الطفل الذي على أبواب المراهقة ربما يسمح له بالدخول إلى النسق الفرعي الوالدي لفترات، على هيئة قيامه بدور جليس الأطفال، ونفس هذا الطفل هو عضو في النسق الفرعي الأخوي، بالإضافة إلى ذلك فان العضوية في نسق فرعي أخر تتطلب مهارات تفاعل وطرق وأساليب في أداء الوظائف التي ترتبها العلاقات، كما ان لكل نسق فرعي وظائف خاصة به في النسق الأسري ككل (روز ماري.لامي،2001،ص 290-293).

وباختصار فان النسق الفرعي الوالدي يتضمن الدعم الانفعالي والمادي للأطفال ووضع القواعد الأسرية، وإدارة نظام المكافئة والعقوبات المناسبة للتنشئة الاجتماعية للطفل، أما النسق الفرعي الأخوي فأنه يوفر الترفيه والصحبة وتعديل الدور لعضو من أعضائه، أما النسق الفرعي وراء الأسري فهو الشبكة الاجتماعية والتي تستطيع

الأسرة من خلالها أن تمارس حياتها الاجتماعية، وأن تقارن بين ما لديها من طرق التفاعل وقواعد الأسرة وما لدى الآخرين.

1-2-2الحدود: إن حدود الأنساق الفرعية عند مينوشين هي القواعد التي تحكم أداء من ينتمون إليها، كما أنها تحدد الوظائف وكيف ينفذ كل شخص أعماله ومسؤولياته، ولكي تؤدي الأنساق الفرعية وظائفها على نحو مناسب ينبغي أن تكون الحدود واضحة بدرجة كافية لكي تسمح لأعضاء النسق الفرعي القيام بوظائفهم. (روز ماري لامبي. 2001، ص293).

وتوصف الحدود في التفاعلات عند الأسرة الصحية بأنها واضحة ونفاذية أي تسمح بالنفاذ، وعندما تتميع الحدود أو تتشوه يضطرب أداء النسق الفرعي لوظائفه، وفي هذا الصدد يطلب مينوشين من الممارسين ملاحظة البناء الأسري، كما يطلب كذلك التركيز على التنظيم الاسري وبالتالي الأساليب المختلفة التي ترتبط بها الأنساق الفرعية، كما عليه ملاحظة التفاعلات الأسرية في وقتها الحالي ومحاولة فهم كيف يعمل العرض على حفظ هذا التوازن.(Meynkens- Fourez, 2005,p20)

ومن هذا المنطلق يركز منيوشين على وضع خريطة للبنية الأسرية وهذا من أجل ضبط العلاقات المشاهدة هنا والآن، إن الخريطة الأسرية هي التمثيل الذي يضعه الأخصائي في وقت معين، فالعلاقات عموما تتميز بتحالفات أو بالرفض.

كما أن الحدود هي قواعد، تحديد من يشارك وكيف (Nguimfack,l, 2008, p185)

إن الحدود يمكن أن تكون واضحة (نصف نفاذية أو مرنة)،صلبة أو مائعة(متشابكة)، ويمثلها مينوشين في الخريطة الأسرية بالرموز التالية:

- حدود جامدة وهي تمثل بالخط المتواصل(ـ)
- حدود غير واضحة متشابكة وتمثل عن طريق نقاط(.....)
- حدود واضحة والمرنة وتمثل بخطوط متقطعة (--------)

إن خصائص الحدود هي التي تصف نمط العائلات والتبادلات العلائقية الموجودة، فالحدود الجامدة تصف الأسر المنفصلة أو المتباعدة (Désengagée)والحدود

المتميعة أو غير الواضحة تصف الأسر المتشابكة(enchevêtrées) أما الحدود الواضحة فهي تصف الأسر العادية (Minuchin,S.2005,p 147)

ويضيف مينوشين أن أغلب الأسر تقع في المنطقة العادية حيث تكون الحدود مرنة وواضحة، ويؤكد في المقابل بأن مصطلح "متباعدة" و "متشابكة" لها علاقة بالأخص بنمط التبادلات أو تفضيل نمط تفاعلي معين، وليس فرق نوعي بين الوظيفي وغير الوظيفي ففي المقابل نستطيع أن نرى أسرا متشابكة (كحالة الأم والطفل اللذان يحافظان على علاقتهما عن طريق رابطة التحاميه) أو متباعدة (في الأسر عندما يكبر الأولاد ومع مرور الوقت يضطرون إلى الانفصال عن الأسرة الأصلية)، لكن ما هو غير وظيفي هو الذهاب إلى أقصى حد في التشابك أو التباعد (هنا يمكن الحديث عن منطقة مرضية)

ففي خريطة البنية الأسرية، نجد أن الأشخاص الذين يقررون يتواجدون في الأعلى، والأشخاص الذين ينفذون في الأسفل أي بمعنى عام الأولياء في الأعلى، والأشخاص الذين ينفذون في الأسفل، أي الأولياء في الأعلى والنسق الفرعي الأخوي في الأسفل.

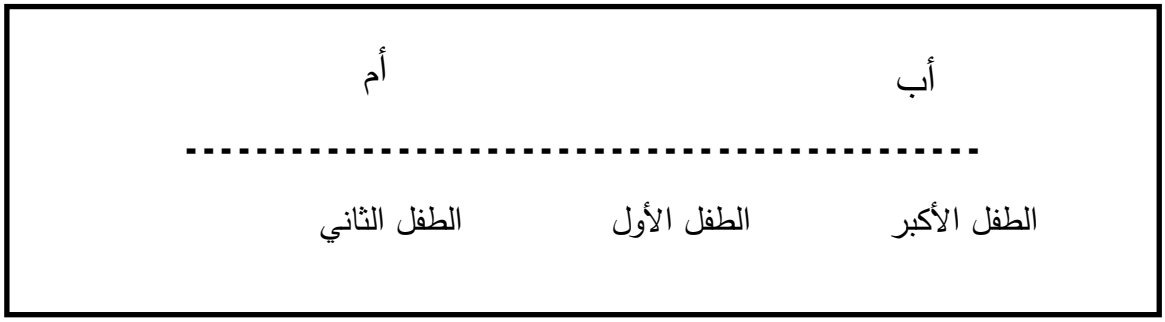

مخطط رقم(02): يوضح خريطة البنية الأسرية حيث التفاعلات الأسرية سوية.

لكن في وقت معين يمكن أن يصعد الطفل لوحده أو بالتحالف مع أحد الوالدين ليكون في النسق التنفيذي (الوالدي) ليسمح بتوظيف أسري جيد وبالتالي فهو في وضعية الطفل الذي لبس ثوب الوالد (enfant parentifié)، ويلعب بالتالي دور ولي على الإخوة، إنه أمين سر الوالدين أو المعين الذي يتحالف مع الوالدين لأنه يحس

أن أحد الوالدين لا يستطيع أن يواجه التوترات الأسرية والخارج أسرية فيجد نفسه في وضعية هرمية في الأعلى، أما الأب المنسحب فيجد نفسه في وضعية هرمية في الأسفل في نفس المستوى مع الأطفال الآخرين.(Meyankens.Fourez,2005,p45)

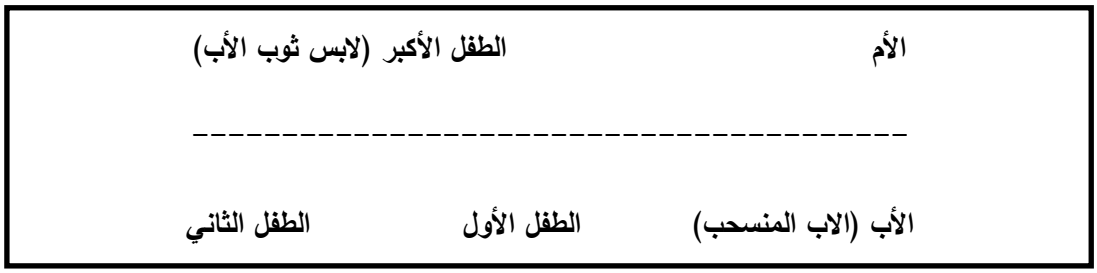

مخطط رقم(03): خريطة البنية الأسرية مع طفل لابس لثوب الأب

كما يوجد هناك خريطة للبنية الأسرية فيها كذلك أنماط أخرى من الروابط والممثلة حسب مينوشين كما يلي:

- الاتحاد يمثل عموما بـ: ═══
- التحالفات تمثل بـ: }
- التداخلات المتطفلة المتكررة: ≡≡≡
- الصراعات تمثل بـ: ⊣⊢
- صراعات بين شخصين تقسم على شخص ثالث تمثل بـ: ←⊣⊢

(Nguimfack.L .2008,p250)

1-2-3 الهرمية: وقد استخدم مينوشين هذا المصطلح لوصف توزيع القوة في الأسر، والعضو الذي يجلس على قمة الهرم هو الشخص الذي يحوز معظم القوة العلائقية، وتؤدي الأسرة وظائفها على نحو طيب عندما تكون الهرمية واضحة بين الوالدين اللذين يشغلان المستويات العليا، ثم يليها المراهقون والأطفال الأكبر سنا ثم يأتي بعد ذلك الأطفال الأصغر سنا. (روز. م لامبي،2001 ، ص 294)، أما المشكلات التي قد تظهر على مستوى الهرمية فهي الصراعات التي تقع بين الإخوة

وعدم الاستماع لتوجيهات الوالدين، كما أن هناك نمط آخر من المشكلات الهرمية وهي عندما يؤدي الطفل على نحو منتظم داخل النسق الفرعي الوالدي مسؤوليات كبيرة على سنه، ويفترض أن الطفل غير مهيئ لتحمل المسؤولية بالنسبة للأسرة، وهذا ما أشرنا إليه سابقا في الطفل الذي يلبس ثوب الوالد، كما أن هناك صعوبة هرمية أخرى وهي موجودة في الأسر التي يتراص فيها الأعضاء أو يتحالفون باستمرار وعلى نحو متكرر ضد عضو آخر، وتظهر هذه المشكلة بكثرة في الأسرة التي يتجنب فيها الوالدان التعامل مع الصراعات الزوجية بالتركيز على مشكلات الأطفال.

وباختصار فإن مينوشين قد استخدم الأبنية الثلاث (الأنساق الفرعية، الحدود، الهرمية) لوصف ديناميات الأسرة وليحدد القوى التي تؤدي إلى نمو المشكلات في النسق الأسري.

المحاضرة الرابعة عشر

2-النموذج التعاقبيModel diachronique :

في النموذج المتتالي أو التعاقبي سنأخذ نظرية موراي بوين

2- 1 - نظرية موراي بوين

تعتمد نظرية بوين في انساق الأسرة على متغيرين متداخلين وهما:

-مستوى تمايز الفرد، وقدر القلق في مجال الفرد الانفعالي

ويفترض بوين أن هناك قوتين طبيعيتين تعملان في مجال العلاقات الإنسانية وهما: التفردن والاستقلال من جهة، والاندماج من جهة أخرى، وعلى الأسرة السوية أن تحدث التوازن بين هاتين القوتين.

-**مفاهيم نظرية بوين:** تتكون نظرية بوين من ثمانية مفاهيم متشابكة والتي يشرح من خلالها مرض واضطراب النسق الأسري.

1-المثلثات: والمقصود هنا هو انه عندما تصبح احد العلاقات الثنائية غير مستقرة ويزيد القلق والتوتر عند مستوى معين من الشدة الانفعالية، فان الفردين الذين بينهما هذه العلاقة يحاولان أن يسحبا طرفا ثالثا ليكونا معه ثالوثا أو مثلثا، ويستخدم احد الأطفال كثيرا ليكون هو الطرف الثالث عندما تحدث الصراعات بين الوالدين، ويلاحظ انه كلما كانت درجة اندماج الأسرة عالية كانت درجة القلق عند الوالدين اكبر وبالتالي كان احتمال حدوث عملية التثليث اكبر أيضا(علاء الدين كفافي،1999، ص376).

2-العمليات الانفعالية في الأسرة النووية: عندما ينشأ التوتر في النسق الأسري فإنه هناك أربع طرق محتملة تسلكها الأسرة لكي تخفض التوتر وكلما كانت درجة الاندماج في الأسرة عالية كانت الحاجة اشد إلى أي من هذه الطرق.

وهذه الطرق الأربعة هي:

-**التباعد الانفعالي:** أي الابتعاد عن الطرف الأخر، ومعناه التعامل مع الطرف الأخر وكأنه غير موجود، ويبدو أن هذه الطريقة تنشأ عن الاقتراب أكثر من اللازم.

-**الصراع الزوجي:** وهو حل أخر لمعالجة التناقض بين الحاجة إلى التقارب والاندماج من جهة والحاجة إلى الابتعاد والاستقلال من جهة أخرى، ويظهر التذبذب بين فترات من التقارب الزائد وفترات الشجار ثم التباعد.

-سوء أداء الوظائف عند الزوجين: وهذا أسلوب أخر لتخفيف التوتر في النسق الأسري يعتاد فيه أو من خلاله احد الزوجين أن يستسلم أو يتبني حلا وسطا لكي يحتفظ بالانسجام وبينما يحقق هذا الأسلوب هدفه الذي يكون في صالح النسق، فانه

قد يؤدي إلى شعور الزوج الذي استسلم بان التعويض تم على حسابه وبالتالي الإحساس بالإنهاك.

-**تضرر الأطفال:** عندما يحدث التوتر والقلق بين الزوجين فإن الصراع بينهما يمكن أحيانا أن يتجنب إذا ما ركزا انتباههما على أحد الأطفال بدلا من التركيز على الطبيعة الحقيقة للتوتر، وهو ما يصطلح عليه اتخاذ الطفل كبش فداء.(بلميهوب كلثوم،2006 ص160)

3-عملية إسقاط الأسرة: هذه هي الوسيلة التي يمر بها عدم التمايز من الوالد إلى الطفل وغالبا ما يحدث ذلك من قبل الأم، فالأم قد تسقط مخاوفها الشخصية، وربما شعورها بأنها غير قادرة وقاصرة على الطفل، ومن هنا تعامله كما لو كان يتصف

بهذه الصفات وفي نفس الوقت تندمج آو تنخرط في تأرجح قلق حول الطفل، ويستجيب الطفل بدوره إلى تفسيرها ويصبح قلقا(ويشعره من جانبه انه قاصر وغير قادر) وقد ينخرط في سلوك من شانه أن يؤكد وجهة نظر الأم نحوه.

4-تمايز الذات: طبقا لهذا المفهوم فإن الأطفال يولدون وقد حصلوا على مستويات مختلفة من التمايز للذات عن الأسرة، والبعض منهم يستطيع أن يفصل نفسه بنجاح لكي يصل إلى النضج مع أداء مستقل لوظائف الذات، بينما يبقى البعض أسير كتلة الأسرة غير المتمايزة، ويكون أكثر عرضة لأن يكون مضطربا.

5-عملية النقل عبر الأجيال: إن المرض النفسي حسب بوين هو منتج في سلسلة طويلة من التعويضات يقوم بها النسق على أساس إقرار ثبات الكل على حساب بعض أجزائه، وبوضوح أكثر فإن مستوى تمايز الوالد يمكن أن ينقل إلى الابن، فالمرأة التي لا تستطيع أن تميز بكفاءة بين الوظائف الذهنية والوظائف الانفعالية سوف تميل إلى الزواج من رجل له نفس الدرجة المنخفضة من التمايز، ومن بين

أطفالها سيكون هناك واحد اقل تميزا من بقية إخوته، وهذا الطفل عندما يكبر يميل إلى الزواج من شخص له نصيب متواضع أيضا من التمايز، وكلا الاثنين حينئذ يسقطان مستواهما المنخفض على طفليهما، والذي يظهر مثل هذا الخلط أو المزاج الشديد لأنظمته الذهنية والانفعالية، وهذا هو الخلط الذي يمنع الأجهزة لديه من أن تعمل بكفاءة أو على نحو سوي، وبالتالي تكون الفرصة مواتية لظهور الأعراض المرضية(روز ماري لامبي.2001.ص283).

6-البتر الانفعالي: وهي الطريقة التي يحاول من خلالها بعض الأفراد لكي يتعاملوا مع أسرهم المندمجة الأصلية، وهو حل متطرف، حيث أنهم يحاولون تخفيض القلق الناتج عن الاندماج الشديد بالذهاب إلى أقصى الطرف الأخر، ويفصلوا أنفسهم بالكامل عن النسق الأسري الأصلي، وفي الحقيقة فإن البتر لا يحل شيئا ولا يحقق هدفا لان الفرد الذي يستخدم البتر عن الوالدين سوف يبقى حاملا معه في العلاقات المستقبلية نفس درجة الخوف الشديد من فقدان الذات(علاء الدين كفافي.1999. ص380).

7- وضع الذرية: والمعنى هنا ترتيب الطفل بين إخوته، الأكبر، الأوسط، الأصغر وهناك صفات ترتبط بكل ترتيب، ويظهر تفاعل الصفات فيما بعد عندما يكبر الأبناء ويتزوجون، فزواج الابن الأكبر من الابنة الصغرى أو العكس من ذلك له نتائج يمكن التنبؤ بها من زاوية المسؤولية واتخاذ القرارات والصراع والتحكم، وكلما كانت درجة الاندماج الانفعالي في الأسرة عالية كانت الصفات المرتبطة بالترتيب الوالدي متضخمة.

8-عمليات انفعالية مجتمعية: وهذا المفهوم هو امتداد للمستوى المجتمعي الأوسع لبعض الآراء السائدة حول أداء الوظائف الانفعالية للأسرة، ومثل النسق الأسري فإن النسق الاجتماعي يحافظ على التوازن بين التفردن والاندماج في مواجهة القلق

الاجتماعي المتزايد والمتمثل في الحروب والكساد الاقتصادي ...الخ وعدم التوازن في التفردن والاندماج يحدث في معظم المجتمعات، وهذا مثل الأسر، فالآباء يتناوبون بين كونهم متسامحين ومتشددين، ويمكن أن يحدث في المجتمع أن جماعات فرعية مندمجة بشدة ومحملة بالقلق سوف تنمو في المجتمع وتبدأ في محاربة المجتمع، آو محاربة جماعات أخرى (علاء الدين كفافي.1999.ص381).

المراجع:

باللغة العربية:

1.روبرث سميث باتريشيا ستيفر سميث، (2006)، الارشاد والعلاج النفسي الاسري، ترجمة فهد عبد الله الدليم ، دار نشر النشر العلمي والطابع. المملكة العربية السعودية.

2.روز ماري لامبي . ديبي دانيلز،(2001) ،الارشاد الاسري للأطفال دوي الاحتياجات الخاصة ترجمة علاء الدين كفافي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

3.علاء الدين كفافي(1999)، الارشاد والعلاج النفسي الاسري المنظور النسقي الاتصالي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

4.محمد عوده وكمال مرسي(1994)، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والاسلام ط3، الكويت ، دار القلم.

5.كلثوم بلميهوب ،(2006)، الاستقرار الزواجي،دراسة في علم النفس، سلسلة دراسات، منشورات الحبر، الجزائر.

6-إمتثال زين الدين، (2013)، باثولوجية الحياة الأسرية، الطبعة الأولى، دار المنهل اللبناني، بيروت.

قائمة المراجع باللغة الاجنبية:

7-Ausloos,G,(1983),symptôme, système et psychopathologie, conférence présenté au congrès de Lisbonne.

8-Arnaud ,L,(1999), a propos d'une technique nouvelle : le génogramme.
9-Jackson,D.D,(1981), la schizophrénie : le nœud nosologique, Paris, Édition du Seuil.

10-Watslawick,P.Weakland,J.H,Fisch,R.(1975): changement paradoxe et psychothérapie, Paris, , Édition du Seuil.

11-Weakland,J,H. Fisch,R. Watslawick,P.Badin,A,M.(1981),thérapie courte: résolution d'un problème circonscrit. Paris, , Édition du Seuil.

12-Stierlin,H, (1979) ,le premier entretien familiale, Traduit par Jacques Jeudy,jean-piere delarge, éditeur .paris.

13Haley,J.(1963), stratégies de la psychothérapie , new york, grune and stratton : 3éme éd . edition du seuil, paris.